ماهيۃ الحقيقۃ عند سورين كيركجارد؟



كمال طيرشي باحث جزائري

Mominoun Without Zorders للدراسات والأبحاث www.mominoun.com



ملخص:

إنها الحقيقة معشوقة الفلاسفة جميعًا، ألهبت بروحها كبار القديسين وألهمتهم، وجعلتهم في ثورة دائمة على المألوف، عملوا بما عندهم من ملكات وقدرات تتعدى العادي، على التجاوب معها، بوصفها ممتلئة ومالئة للعالم بعنفوانها، وتدفع بالجميع تحت سنابكها لكي يتجرّعوا غصتها ومرارتها، كذا كان الفيلسوف الوجودي سورين كيركجارد، ملهم الحقيقة الكلية والساعي لها.



توطئة:

إنّ المنحى العميق لفلسفة امتازت عن مثيلاتها بالغموض والإبهام، تجعلنا نستحضر ههنا شخصًا وجوديًا ما فتئ ينأى بنفسه عن كل تصنيف عنجهي في خانة النزعة الوجودية، واعتاد صبية شوارع كوبنهاغن يصيحون وراءه مرددين لفظ: إما...أو، وهو بالضبط عنوان لأحد مؤلفاته، أما صحيفة القرصان فقد نشرت ضده مجموعة رسومات كاريكاتيرية تصوره بحالات مختلفة أبرزها أحدب، تسلطي، فجلها تنصب حول نقد لاذع ساخر، إنّه سورين كيركجارد، الذي خطت أنامله عبارة جد مضطربة ستبقى شاهدة على لغزية هذا الفرد المفرد إذ يقول: لقد توصلت لمعرفة شيء واحد معرفة يقينية ألا وهو: فقدان الإنسان، والشكل العميق جدًا، لشخصية متميزة ولكن كم هو محزن أنّه لا يزال لديّ بعض الصدق، ولذلك فبعد موتي سيثني على الجميع، لدرجة أنّ الشباب سيعتقدون أنّني كنت محترمًا في أثناء حياتي مبجلاً أيضًا، وهذا أيضًا جزء من التحول الذي يعاني منه الصدق... في الواقع، إنّ معاصري الذين تصرفوا بحقارة سيستغلون لحظة موتي ليقولوا نقيض ما قالوه البارحة، وهكذا سيصبح كل شيء غامضًا ومضطربًا وملتبسًا!

وحقيق بنا الاعتراف بأنّ مسألة البحث عن الحقيقة كانت بمثابة الشغل الشاغل الذي لازم مخيال سورين كيركجارد طوال حياته، ولا أدل على ذلك من قوله: الحق قوة، لكنّنا لا نراه هكذا إلا في حالات نادرة لأنّه حق، يتألم دومًا، ويجب أن يهزم طالما هو حق، أما عندما ينتصر هذا الحق، فنرى الآخرين ينصتون إليه، لماذا؟، ألأنّه حق؟ لا؟؟، فلو كان لهذا السبب لانضموا إليه عندما كان يتألم أيضًا، ولهذا فإنّ عدم انضمامهم إليه ليس للقوة التي يمتلكها، إنّهم ينضمون إليه بعد أن يصبح قوة، لأنّ الآخرين يكونون قد سبقوهم لذلك. 2

بحث كيركجارد عن الحقيقة هو بمثابة صرخة معاناتية لازمت حياته من الطفولة حتى الممات، وفي هذا السياق يقول سورين: فليس الحقيقة سوى أن نعيش من أجل فكرة، وما يهم هو اكتشاف حقيقة تكون كذلك بالنسبة إلي، وأن أجد تلك الفكرة التي أعيش وأموت لأجلها. 3

بحثنا عن الحقيقة وفق تصور سورين كيركجارد هو في الحقيقة بحث في دهاليز كتبه الغرائبية الكثيرة والغامضة، فهذا الأخير خط أهم كتبه بدءًا من عام 1834 واستمر على هذا المنحى إلى عام 1855، وهي نفسها السنة التي غادرت فيها روحه هذا العالم، لكن علينا أن نكون أكثر موضوعية ونزاهة بخصوص أكثر أعماله الفلسفية جدة وأصالة وعمقًا، والتي كانت بالضبط بين 1836 و1843، والغريب في هذه الأعمال استعماله لأسماء مستعارة والأكثر حضورًا من هذه الأسماء يوهانس كليماكوس، ومن الكتابات

3

¹⁻ وليام هبين، سورين كيركيجارد، تصوف المعرفة، ترجمة سعاد فركوح، يناير، 2011، دار أزمنة، عمان، ص 09

²⁻ وليام هبين، سورين كيركيجارد، تصوف المعرفة، مرجع سابق، ص 05

³⁻ هيبت بافي حلبجة، نقض مفهوم اليأس لدى كيركجارد، صحيفة إيلاف، الإثنين 28 أبريل 2008: www.elaph.com



الكيركجاردية التي نالت حظوتها في تلك الفترة بالذات: كتابه إما...أو، وكتاب رهبة وقشعريرة، وكتاب الرجعي، شذرات فلسفية، وحاشية نهائية غير علمية.

1- النشأة الكيركجاردية القامة والبحث عن الحقيقة:

لنا أن نعترف بأنّ سورين كيركجارد نشأ نشأة جنونية تتلبسها آهات وزفرات الخطيئة والشعور بالذنب، والسعي الدؤوب من لدنه للتوبة النصوح، والتكفير عن الذنب، فوالد سورين كيركجارد عاش حياة مضطربة معتقدًا بأنّ الرب سلط عليه جام غضبه وعذابه المهين، وهذا نتيجة تجديفه، فعاش حياته ينتظر لحظة العقاب من الرب على خطيئته، ما لاح في مخياله المضطرب لزومية التضحية السرمدية، ولكن هذه الالتباسات الحياتية لم تلازم الأب فقط بل انتقلت بالوراثة إلى الابن، صحيح أنّ فؤاد الأب والابن معمور بالمحبة اللاهوتية المحض ولكنه حب يغالبه العته، فهذا الأخير عبث بحياة سورين كيركجارد وجعله يفسد علاقته بمحبوبته رجين أولسن، بحكم أنّ همومية سورين كانت تسعى إلى الحقيقة وهذه الحقيقة هي الوجود نفسه، في واقعه الفريد الذي لا سبيل البتة للتعبير عنه بل يجب الانتباه إلى كونه أي الوجود هو تحايث الوعي بالوجود عينه 4.

هذه النشأة الهمومية المضطربة اقتدر معها الأب أن يرسخ في ملكوته الجواني مقولات الخطيئة، والتكفير عن الذنب، والتضحية السرمدية، والتي عاشها كيركجارد بطريقة قاسية وآمن بها إيمانًا راسخًا لا ربب فيه، وابتدع لنفسه مقولات أخرى صار المنهمكون في الدراسات الكيركجاردية ينعتونه بها مثل الفرد المفرد، المختار، المستثنى، بالإضافة إلى كل ما سبق التطرق إليه، فإنّ حياة كيركجارد كانت في حد ذاتها لغزًا محيرًا جدًا، إذ يقول في كتابه المثير يوميات على طريق الحياة... مذنب أو غير مذنب؟ لقد منحني الله القدرة على أن أعيش لغزًا، ويقول أيضًا: كل لون من ألوان الوجود يرعبني، من أصغر ذبابة إلى سر التجسيد، فكل شيء عبارة عن لغز بالنسبة إليّ، وأكثر ها سمومية هو وجودي أنا، كذات، ما أعظم حزني؟، والحق من ألوان الوجود مسموم بالنسبة إليّ، وأكثر ها سمومية هو وجودي أنا، كذات، ما أعظم حزني؟، والحق أن يعزيني سوى الله، ويعقب الدكتور إبراهيم زكريا في كتابه إلهام الفلسفة الوجودية قائلاً بأنّ سورين كيركجارد لو تعمقنا في استكناه حياته الطفولية في بواكير ها لوجدنا أنه خضع لتربية تقوية لوثرية قاسية كيركجارد لو تعمقنا في استكناه حياته الطفولية في بواكير ها لوجدنا أنه خضع لتربية تقوية لوثرية قاسية مثل باقي أطفال العالم، إذ يقول عن نفسه: تسعة أشهر في بطن أمي كفلت أن تخلق مني رجلاً عجوزًا، مثل باقي أطفال العالم، إذ يقول عن نفسه: تسعة أشهر في بطن أمي كفلت أن تخلق مني رجلاً عجوزًا، فعاش كير كجارد حياة قاسية معذب الروح، يحيى في عالم الفكر ويحلق مرفرقًا في سماء اللاهوت والدين، فعاش كير كجارد حياة قاسية معذب الروح، يحيى في عالم الفكر ويحلق مرفرقًا في سماء اللاهوت والدين، وقد جانبت حياة كيركجارد جوار والده الطاعن في السن، فكانت سنون المجانبة كلها حزينة وكئيبة، إذ كان

⁴⁻ ريجيس جولفيه، المذاهب الوجودية، ترجمة فؤاد كامل، دار الأداب، بيروت، ط1، ص ص 30-31



أبوه يعاني مرارة الندم الشديد معتقدًا بأنّ الرب هو المتسبب في وفاة أبنائه الخمسة، وبعد عبور والده إلى عالم الملكوت الأعلى، بدأ كيركجارد يفكر كثيرًا في الموت والألم والمحنة، وحاول جاهدًا أن يفهم المسيحية وفقًا للعلاقة الغامضة المأساوية بوالده، وتعلم من والده معنى المحبة الأبوية، وأنّ التدين العميق هو نموذج المحبة الأبوية بين الرب والبشر، وتلازم الإيمان عنده بعناصر القلق والحصر والشرخ الباطني، ولعبت الخبرة الروحانية دورًا بارزًا، فكيركجارد تقدم لخطبة رجين أولسن، محبوبته، لكنه نقض هذه الخطبة وضحى بمحبوبته، كما ضحى إبراهيم الخليل بولده إسحاق، والإعجاز الأكبري أيضًا هو أن تعود إليه، كما عاد إسحاق إلى والده إبراهيم الخليل، ولكن مكمن المفارقة ههنا أنّ محبوبة كيركجارد لم ترجع إليه، مما ولد في نفسية هذا الفيلسوف اعتقادًا غرائبيًا مفاده ضرورة أن يعيش الآدمي في شك مريب، موضوعه دومًا هو الإيمان، وأنت إذا تيقنت بأنّ لديك إيمانًا حقيقيًا، فكأنّك بذلك تجدف على الإيمان نفسه. 5

2- الحقيقة وعلاقتها مراتب الحياة:

يعمد سورين كيركجارد إلى الولوج بمنحى دوائر الوجود في الحياة، ويحبذ ههنا سورين نعتها بالمراحل، ويمكن حذقها على أنّها أطر لنظرية في الوجود، لكن هل لها علاقة قيومية ملازمة للحقيقة؟

يتقصى كيركجارد تراتبية تمظهر الحقيقة من خلال مدارج الوجود الثلاثة، ويستهل الجزء الأول منه في البحث عن الحقيقة في المدرج الحسي، حيث أننا في الخمر نكتنه الحقيقة، حيث تتلاحم أمثولات الحب الأيروسي والمأدبة على الشاكلة الأفلاطونية ومفاهيم الإغواء النسوي، وتحضر سورين ههنا شخوص مستعارة مثل بطل كتاب إما...أو، جوهانس المغوي، وقنسطنطينيوس مؤلف كتاب الرجعي، أما المدرج الثاني فيستحضر كيركجارد ههنا أقنوم الزواج، ويتبدى معه المدرج الأخلاقي، هذا الجزء يتناول القران المقدس، والذي يحايث الأخلاق في جوهره، بحكم أنّ القران يلزم عنه تحيين الركيزة الأخلاقية، فنجد القاضي فلهلم يشيد بالزواج بصورة كبيرة، ويمجده معتبرًا إياه البراديغم الأمثل والأفضل للعلاقات الإناسية المجيدة، وتكون بذلك العزوبية قبحًا لا مفر منه، ومروقًا عن الجادة الطبيعية والجبلة البشرية، وهو بالضبط السبيل الذي انتهجه صديقنا سورين كيركجارد، أما في المدرج الثالث ألا وهو المدرج الديني، فنجده ملازمًا لمفهوم مذنب أو غير مذنب، وههنا يصور لنا شخصًا هو في حقانية الأمر نفسه كيركجارد قد سقط في غياهب العشق والهيام، ولكنه اضطر إلى فسخ القران والالتزام بمنحى المحبوب، وهو بالفعل ما قام به كيركجارد مع رجين أولسن، فهذا السبيل يصور لنا تعالقية عميقة بالمحبوب في المدرج الإتيقي وكذا الالتزام المهيب بالحضرة الإلهية في المدرج الديني.

ر- رخری إبر اهیم، العسف الوجودید، دار المعارف، سه

⁵⁻ زكريا إبر اهيم، الفلسفة الوجودية، دار المعارف، سلسلة اقرأ، العدد 161، ص ص 31-33



3- الحقيقة وعلاقتها بالفرد المفرد:

جمع سورين كير كجارد في بحثه المضنى عن الحقيقة نظرية في وحدة الإنسان الفرد المنعزل الوحداني، و هذه العزلة هي عزلة كاملة في مواجهة الإله، ونظرية في المصير التراجيدي المأساوي للإنسان الفرد، وقد رأى أنّ اللحظة أو الآن هو تركيب يجمع الزمان والخلود6، هذه الفردية المنعزلة مثلت قيمة كبيرة على الرغم من اقتضابها في الفكر الكيركجاردي الجريح، وكتب عنها هذا الأخير بإسهاب في كتابه حاشية علمية غير ختامية، وفي هذا الكتاب بالضبط يعتبر الجمهور غير ممثل للحقيقة، لأنّ المسيحية الصافية الحقانية وفق منظور هذا الفيلسوف تؤكد وجود الفرد المنعزل أمام الحضرة الإلهية، وتوكيدًا منه على قيمة الفرد مقابل الحقيقة يقول: هناك تصور يقول بأنه حيثما وجدت الحشود وجدت الحقيقة ملازمة لها، وأنّ الحقيقة في حاجة ملحة إلى الحشدية الجماهيرية، وهناك تصور مغاير يرى في الجماهير تعبيرًا عن انعدام الحقيقة، لو أنّ كل فرد فيما بينه وبين ذاته، امتلك الحقيقة، ولكنه في حالة ما اجتمع هؤلاء الأفراد مكونين جماعة يناط بها شأن حاسم، وتكون جماعة انتخاب وضوضاء وصخب، ستنعدم الحقيقة حالاً .7

و يقول أيضًا: إنّ الحشد مهما كانت صنوفه حضورًا أو غيابًا، موتًا أو حياةً، غنِّي أم فقرًا، تدل في جو هر ها على مفهوم الكذب، و هذا بحكم أنّ الجماعة تصهر و تطمس معالم الفرد بصورة كليانية في بو تقتها فتجر ده من مسؤ و لباته

4- الحقيقة وعلاقتها مسألة الإمان:

يعتقد كيركجارد بأنّ الحقيقة ذاتوية في الأساس، وهي نموذج متفرد من العمل والسعى المحايث للمشاعر التعاطفية، فالحقيقة تظفر بقوة الإيمان واللاهوت الديني، ولا ينظر إليها البتة على أنّها تصور علموى تنظيرى، أو تجريد عقلاني صرف، فالحقيقة تلازم الذات الوجودانية الإنسية وتطرح نفسها كقيومية ذاتية باطنية وهي تمتاز كليًا عن الحقيقة البرانية8 يستحضر كيركجارد المسيح في فؤاده حينما يسعى باحثًا عن الحقيقة، فالسيد اليسوع يقول: أنا الحقيقة وبالتالي يعلنها بمنأى عن ما هو براني في الأساس، وإذا ابتغي الفرد المفرد منا اكتناه الحقيقة بصورة برانية يكون قد سعى لأفول وجوده، ووفقًا للطرح الكيركجاري تكون المسيحية عينها دينًا ذاتويًا باطنيًا، ديانة حثيثة لا تتحول إلى أنماط برانية وعرض مباشر.

8- soren Kierkegaard, concluding unscientific postscript, Swenson and lowrie, Princeton; Princeton university, p178.

6- بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 165، سبتمبر 1992، ص 212

⁷⁻ soren Kierkegaard, on the dedication to that single individual, translated by Charles bellinger; www.ccel.org



وهناك قضية مركزية لابد للباحث في المنحى الإيماني الكيركجاردي حذقها وهي أنّه لا يمكن للإله أن يصر على الإنسان بأن يفهم الحقيقة كما هي، وإنّما يعمد إلى إعطائه فرصة ليكتنهها ويحصفها ليتسنى له بعد ذلك إدراك ضعف موقفه اتجاه إدراك الحقيقة، وبذلك فإنّ الأبلغ تأثيرًا هو الشيء الذي يتم اكتشافه من لدن البشري ذاته 9.

والإيمان في حقانية الأمر نعماء إلهية على الإنسان، لأنّه تسليم لحياته من أجل إرضاء الله في عليائه، فالإيمان عند سورين من نوع خاص، ملازم لمفهوم التضحية والمخاطرة والاضطراب والخواف، إذ أنّه لا يقبل التجزئة أو التمفصل أو القراءة العقلانية، فنحن حينما نبحث عن الله بعمق في عالم الفيزيقا الرحب، أكيد فإنّنا نتجلى قدرته الكمالية الجليلة، ولكن في الآن عينه نضطرب وتشوش عقولنا، وهذا ما يجعلنا لا نثق كثيرا في العالم البراني وتمظهراته 10، واسترسل كيركجارد في الحديث عن الإيمان بصورة عميقة في كتابه خوف ورعدة، إذ يقول: يبدأ الإيمان حينما ننحي عمل الفكر جانبا، بحيث نفند كل ما له علاقة بالمعقولية والاستدلال البرهاني المنطقي، لهذا يكون الإيمان وثبة مهيبة، بحيث أنّها تقتدر على جعل عملية القتل عملية مبجلة ومقدسة من خلالها نرضي الحضرة الإلهية، إنّها وثبة بإمكانها إرجاع الابن إسحاق إلى أبيه إبر إهيم 11.

5- الحقيقة وعلاقتها بالموت واليأس:

عرض سورين كيركجارد نظرته حول الموت واليأس في كتابه المرض طريق الموات، ومفهوم الموت عند هذا الفيلسوف يتلاحم بمفاهيم جوهرية من صميم الاختيار والرهبة واليأس والقلق والجزع، والإيمان إلى غير ذلك، ولكن لا نفهم ههنا بأنّ كيركجارد عالج الموت في حد ذاته وإنّما عمد إلى دراسة تداعيات فهم الموت والتي تتجلى في حياتنا، ولنا أن نتأمل هذه المقولة المضطربة لسورين وفيها يقول: يا لغثائية الحياة ورثاثتها، إنّنا نقوم بدفن إنسان بعد أن نشيعه إلى مثواه الأخير، فنواريه الثرى، ثم نعود بعدها على متن العربة نفسها التي شيعناه فيها، مستبشرين بحياة طويلة، ولكن هل السنوات السبعون طويلة حقًا؟، على متن العربة نفسها التي شيعناه فيها، مستبشرين بحياة طويلة، ولكن هل السنوات السبعون أخر الأموات، ومن لماذا لا نقف في مكاننا من ذلك القبر، ولماذا لا نقحم أنفسنا فيه كي نشهد من سيكون آخر الأموات، ومن نصيب من ستكون تراجيديا إهالة التراب الأخيرة 12، ويتهكم سورين مرة أخرى في جملة مضطربة يقول فيها: إنّ تفكيرك في موتك أمر ينطوي على صدق، أما مشاهدة موت الآخر فهو مجرد حالة، وحينما نقرأ ونتمحص متن كتاب كيركجارد - المرض طريق الموات -، نتجلى غرائبية مكثفة تجبله، لأنّ الكتاب في

⁹⁻ soren Kierkegaard, philosophical fragments, hong, Princeton university, p17.

¹⁰⁻ كوبلستون فريديريك، تاريخ الفلسفة، ترجمة حبيب الشارودي، ومحمود سيد أحمد، المجلد السابع، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، ص 336

¹¹⁻ سورين كيركجارد، خوف ورعدة، ترجمة فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1984، ط1، ص 73

¹²⁻ soren Kierkegaard, either/or, trans: hong and edna, USA, Princeton university press, p29.



جوهره لاهوتي يبين العلاقة الجوانية العميقة بين المسيحية والحياة، ومصداقًا لذلك يقول كيركجارد: كل ما هو مسيحي في جوهره لابد أن يشابه عند عرضه وتقديمه الطريقة التي يتكلم بها الطبيب مع مريضه وهو على فراش المرض، ولو أنّه لا يفهمه إلا خبير بمجال الطب، فلابد أن لا ينسى أنّه يتكلم مع مريض على فراش المرض، وأنّ ثمة شخصًا مريضًا، وهذه هي بالضبط علاقة المسيحية بالحياة 13.

وليس غريبًا أن يقر كيركجارد بأنّ كتابه هذا هو من أصدق كتبه على الإطلاق، وأقربها إلى مفهوم الحقيقة، ونجد كذلك مفهوم اليأس حاضرًا بقوة في هذا الكتاب، ويفسره سورين على أنّه مرض نفساني روحاني، هذا اليأس الذي ينحدر وينكص في النهاية نحو الذاتية في فردانيتها، وهذا المرض حتى الموت لا يمكن شفاؤه إلا بالإيمان المؤسس على تواشجية العلاقة الحية مع الله، وهنا بالضبط يعيدنا كيركجارد بمنحى الحقيقة الصافية، الصادقة، إلى يأسه هو وعلاقته مع الله .

6- الله وعلاقته بالحقيقة:

الرب عند كيركجارد لا يدان لنا البتة بالبرهنة على وجوده، وإنّما نكشف عن وجوده، بمعنى آخر أنّ البرهنة على وجود الله، معناها أنّنا نسعى لتوكيد كل شيء والبرهنة على كل شيء عن طريق العقل وقوة التفكير، ولهذا يعتقد كيركجارد بأنّ السعي للبرهنة على وجود الله ما هو في الحقيقة إلا نتيجة السذاجة والعمه البشري، إنّ جوهر الرب يتم بسبيل الكشف، أي أن نكتشف الرب في ملكوتنا الذاتوي وليس أن نبرهن عليه أمام أنفسنا، ولا مندوحة أن نقر بأنّ نزوع كيركجارد الريبي، الظني، هو الذي أوحى إليه بهذه الصورة الداكنة لتعالقية اللاهوت بالناسوت، مما حدا به إلى الإقرار بتواشج الحب بالمعاناة، وأنّ هذه التعالقية الروحانية تتم من خلال الألم والقلق والرهبة والشرخ النفساني، والمحنة 14، ولا أدل على ذلك من قول كيركجارد: إنّني لأهوى الموجة التي تقذف بي إلى أعماق الهاوية، فإنّها تقذف بي أيضًا إلى ماوراء النجوم 15، كما يؤكد كبركجارد بأنّه حينما نشعر بأنّنا لا شيء على الإطلاق، فهناك نقتدر على الثقة في أنّ الله يحبنا، ولن يحبنا الله البتة اللهم إلا إذا تخلينا عن كل حب آخر، فالله وفق تصور كيركجارد إله غيور، لا يقبل المشاركة، ومن هنا نفهم جيدًا بأنّ دين المحبة يرتبط بصورة تواشجية بعاطفة الكراهية، وإذا كان الكتاب المقدس قد نص على أنّ الذي يحبه الرب يؤدبه، فإنّ كيركجارد يلخص علاقة الإنسان بالله في عبارة مماثلة مادها «إنّ من بياركه الله، لابد أن يلعنه في الآن عينه» 16.

¹³⁻ سورين كيركجارد، المرض طريق الموات، عرض مسيحي نفسي للتنوير والبناء، ترجمة أسامة القفاش، دار الكلمة، القاهرة، 2009، ص 102

¹⁴⁻ إمام عبد الفتاح إمام، كيركجور رائد الوجودية، الجزء الأول، دار الثقافة، 1982، ص 132

¹⁵⁻ زكريا إبر اهيم، مشكلة الحب، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، ص ص 140-141

¹⁶⁻ زكريا إبراهيم، مشكلة الحب، مرجع سابق، ص ص 142-143



7- الحقيقة وعلاقتها بالحب والمحبة التي لم تحب:

يعتقد سورين كيركجارد بأنّ حياة الحب المتحجبة تكون في الفؤاد، لا يدان لأحد بحذقها ولا تحديدها، بالإضافة إلى كونها متواشجة جدًا مع الوجود، والحب عند الكائن البشري متجذر في حب الرب، وإذا لم يكن الله هو الحب، فلن يكون هناك حب إنساني البتة، والأصل الغامض للحب الكامن في حب الإله، يحجبك ويطمس قدرتك على رؤية مصدره، وإذا تنطعت وادعيت بأنّك تراه، فاعلم بأنّك مهاتر ومخدوع بانعكاس في باطن جوانيتك يريك منبع حب متستر كما لو أنّه حقاني في الأساس، ويقر كيركجارد في كتابه أعمال المحبة بالحب الملائم المتوافق مع الذات في قيوميتها، إذ يقول «إنّ محبتك للرب تعني محبة حقانية للذات، وأن تسعى لتعين شخصا آخر ليحب الرب يعني حبك للآخر، وأن يساعدك شخص آخر لتكون موضع حب الله، فيعنى ذلك أنّك محبوب» 17.

8- الشاهد على الحقيقة والصراع مع الكنيسة:

يعتقد كيركجارد بأنّ الأسقف منيستر هو الذي يجسد بحق المسيحية الأصيلة، فقد كان سورين منذ نعومة أظافره يعرف منيستر الذي كان كاهن والده، وقد أشاد منيستر بكتاب كيركجارد مقالات نورانية، والتي خطتها أنامل سورين وفق تصورات تتماثل قطعيًا مع تصورات المسيحية الرئيسية، ولكن مع التغير الذي غالب تفسير المسيحية بنمط يجعلها أكثر تقشفًا ونأيًا عن مباهج الحياة، أصبح رأيه في مينستر متغيرًا، فقد تجلى له بأنّ الأسقف الآن منكب على عالم الشهوات وأصبح واعظًا منهمكًا بالمنحى الجمالي، ومن يوميات كيركجارد نحذق قضية مفادها أنّ هذا الأخير يعتبر منيستر لا يمثل المثال المسيحي الصارم غير أن هذا الاعتراف لم يصدر، بل العكس أظهر منيستر كراهية شديدة لكتاب كيركجارد تدريب على المسيحية، الذي نعته باللعبة الإلحادية السافرة مع ما هو مقدس، وفي عام 1854 توفي منيستر دون أن يتوصل إلى حذق معالم فكر كيركجارد بجلاء، وفي يوم الأحد قبل أن يوارى الثرى ألقى أستاذ الثيولوجيا مارتنسن موعظة تأبينية عن الأسقف، وأعلن فيها أنّ منستر هو الشاهد على الحقيقة، وكان لهذه الجملة تأثير سيئ جدًا على نفسية سورين كيركجارد، وكتب على إثرها احتجاجًا طبع في صحيفة الوطن اليومية عنوان المقال هو هل نفسية سورين كيركجارد، وكتب على إثرها احتجاجًا طبع في صحيفة الوطن اليومية عنوان المقال هو هل منستر شاهدًا على الحقيقة؟، وهل هذه هي الحقيقة؟.

وتوصل كير كجار د إلى نتيجة مفادها أنّ هناك مفارقة عجيبة بين المسيحية الحقة وبين الكنيسة وقساوستها ورهبانها، وأنّ هؤلاء الرهبان يقولون ما لا يطبقون، فهم يدعون الناس إلى حياة الزهد والتقشف والتضحية السرمدية والتعرض للمحن والآلام، وهم في الحقيقة يعيشون في رغد ومتع الدنيا وملذاتها، واعتبر كير كجارد

¹⁷⁻ Soren Kierkegaard, **Works of love**, trans: David and Lillian, new jersy, Princeton university press, 1949, p309.

¹⁸⁻ فريتيوف برانت، كيركجارد، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص 157



أنّ كل هذا ما هو إلا استخفاف بالحضرة الإلهية، وتغيير للمسيحية الحقة بأخرى مزيفة ومشوهة، واعتبر كيركجارد أنّ الشاهد على الحقيقة يسيء الناس الحكم عليه، ويعاملونه معاملة سيئة، ويتعرض لكل صنوف العذاب والأهات والزفرات، ويهان، يصلب ويعدم وقد لا يدفن، وتبقى جثته في العراء، فرد مارتنس على كيركجارد قائلاً بأنّ الشاهد على الحقيقة يتغير من عصر إلى عصر، ووصف مقال سورين بالقذر التافه، إلا أنّ كيركجارد بقى على موقفه ووصف الكنيسة بأنّها أنموذج حى للوقاحة.

وفي شهر أيار من عام 1855 بدأ سورين كيركجارد ينشر في صحيفة "اللحظة"، التي كانت تقتصر على نشر هجومه الكبير على الكنيسة ورجال الكهنوت، واصّفا الكهنة بأنّهم أكلة لحوم البشر وبأكبر شكل وحشي، وأنّ الكاهن يستقر آمنًا مسترخيًا في مقره الريفي ويأمل أيضًا أن يكتسب انتشارًا جذابًا، وزوجته هي نفسها ممتلئة، وكذا أبناؤه، وكل هذا بسبب معاناة مرض العظماء شاهد الحقيقة، هذا هو ما يعيش عليه الكاهن، وهؤلاء العظماء هو الذي يؤكّلهم ويتغذى معهم من أجل الفتنة المبهجة للحياة، ولزوجته وأولاده، لقد احتفظ بهؤلاء العظماء في أحواض من الدموع، وهم يصيحون اتبعوني، اتبعوني، وهي صيحات بلا جدوى، ربما يظل للحظة يتحصن ضد تلك الصيحة ولكن مع كر الأيام يصبح قاسيًا حتى أنّه لا يعود يسمعها، ربما إذا بدأنا يشعر بالخجل عندما يجد أنه يسمى تلميذًا مخلصًا للمسيح، ولكن مع كر السنين يعتاد على سماعها حتى أنّه يعتقد هو نفسه أنّها حقيقة، وهكذا يموت وقد انحرف كثيرًا ويدفن على أنّه شاهد على الحقيقة 19

¹⁹⁻ فريتيوفبرانت، كيركجارد، مرجع سابق، ص ص 164-163

المصادر والمراجع:

- 01- وليام هبين، سورين كيركيجارد، تصوف المعرفة، ترجمة سعاد فركوح، يناير، 2011، دار أزمنة، عمان.
- 02- هيبت بافي حلبجة، نقض مفهوم اليأس لدى كيركجارد، صحيفة إيلاف، الإثنين 28 أبريل 2008: www.elaph. :2008
 - 03- ريجيس جولفيه، المذاهب الوجودية، ترجمة فؤاد كامل، دار الأداب، بيروت، ط1.
 - 04- زكريا إبراهيم، الفلسفة الوجودية، دار المعارف، سلسلة اقرأ، العدد 161.
- 05- بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 165، سبتمبر 1992.
- 06- Soren Kierkegaard, on the dedication to that single individual, translated by Charles bellinger; www. ccel.org
- 07- Soren Kierkegaard ,concluding unscientific postscript, Swenson and lowrie, Princeton; Princeton university.
- 08- Soren Kierkegaard, philosophical fragments, hong, Princeton university
- 99- كوبلستون فريديريك، تاريخ الفلسفة، ترجمة حبيب الشارودي، ومحمود سيد أحمد، المجلد السابع، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط.1
 - 10- سورين كيركجارد، خوف ورعدة، ترجمة فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1984، ط. 1
- 11- سورين كيركجارد، المرض طريق الموات، عرض مسيحي نفسي للتنوير والبناء، ترجمة أسامة القفاش، دار الكلمة، القاهرة، 2009.
 - 12- إمام عبد الفتاح إمام، كيركجور رائد الوجودية، الجزء الأول، دار الثقافة، 1982.
 - 13- زكريا إبر اهيم، مشكلة الحب، مكتبة مصر، القاهرة، ط1.
- 14- Soren Kierkegaard, Works of love, trans: David and Lillian, new jersy, Princeton university press, 1949.
- 15- فريتيوف برانت، كيركجارد، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981.

MominounWithoutBorders



Mominoun



@ Mominoun_sm



الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

+212 537 77 99 54 : الماتف

الفاكس : 21 88 77 737 531+

info@mominoun.com

www.mominoun.com